سينما

رأي جديد في فيلم

« سيدني » بطل فيلم « بعد ظهر يوم ابن كلب» في لقطة من الفيلم نفسه

"بعد ظهر يوم ابن كلب"

الصفحة الثقافية في جريدة النهار اللبنانية اعتبرت فيلم « بعد ظهر يوم ابن كلب » فيلما « جيدا جدا » ولخصته بأن « نيويوركيا يحاول تحدي عنف المدينة ووحشتها بارتكاب عملية سطو على بنك في بروكلين » ، واعتبرت الجريدة فيلم « سيدني لوميت » الجديد ، الذي يقوم ببطولته « آل باتشينو » فيلما يتحدث عن « الرفض في اميركا القمع » !.

ولكني شخصيا وجدت في الفيلم اشياء غير ذلك . فالفيلم يتحدث عن الجيل الامريكي العائد من حرب فيتنام الخاسرة ابيريالبا . فاذا ازحنا شخصية « ليون » الشاذ سلبا ، وقفنا امام شخصيتين رئيسيتين هما : « سيدني » و « سال » . اما عملية السطو على البنك فهي سلمية تقريبا ولاقت تفهما من السلطات . ان مبرر عملية السطو هو الحيازة على مبلغ تجري بواسطته عملية جراحية لليون الشاذ « زوج » سيدني شرعا ! ، وهذا هو دافع « سيدني » للقيام بالعملية الارهابية - اذا صح القول - . ولكن يبدو ان دافع زميله « سال » للمشاركة الفعالة فيها هو دافع شرير غير انساني البتة وهذا الدافع يعبر عن رفض « سال » لايقاف الحرب ضد الشعب الفيتنامي ! .

لقد كان « سيدني » وزميله « سال » سفاكين كبيرين اديا خدمات اجرامية للسلطات الامريكية في حربها القذرة ضد الشعب الفيتنامي ، ولكن اثناء عملية السطو يثبت للسلطات ان « سيدني » قام بعمليته لهدف انساني هو اجراء عملية جراحية لزوجه الذكر يتحول من خلالها الى انثى !

واثناء المفاوضات بين « سيدني » ورجل الشرطة الفيدرالي يتواطأ « سيدني » مع رجل الشرطة الذي طلب منه التخلي عن « سال » . واثناء وصول « سيدني » و « سال » والرهائن الى المطار يقوم السائق الذي وثق به « سيدني » باطلاق الرصاص على « سال » وقتله فورا ! :

١ - ان تعاطف واحدة من الرهائن مع « سال » ، واهداءه عقدا ، وتحذيره من خداع السلطات له ، يشير الى ان ثمة كثيرين من جيل الحرب الفيتنامية لا يزال ضد انهاء الحرب ومتعاطف مع القتلة الذين شاركوا فيها ، ولكن السلطات الامريكية تقوم بردع هؤلاء !!!

٢ - ان اظهار الفيلم لسيدني وكأنه بطل شريف وشجاع ومن ثم تعاطف السلطات معه وتلبيتها لطلباته « الانسانية » ، هو بمثابة ادعاء بأن حرب الفيتنام كانت « عادلة » وفاضها « ابطال انسانيون » تفهموا الموقف الامريكي بالحرب وبانهاء الحرب .. وكأن امريكا هي التي انهت الحرب وليس بطولة الشعب الفيتنامي هي التي اجبرتها على انهائها .

٣ - يبدو في الفيلم ان المجتمع الامريكي ديمقراطي ، حيث سمح « للجماهير » او لجزء منها - الشاذين جنسيا - بالتظاهر بين رجال الشرطة تأييدا « لقضية » سيدني .

٤ - لقد انتهى الفيلم بقتل « سال » المجرم ، واجراء عملية لحبيب « سيدني » وزوجه « ليون » حيث اصبح هذا الاخير امرأة ، بينما زوجة سيدني وطفلاه يعيشان الان سعيدين في نيويورك، بعد سجن (سيدني) عشرين عاما وفقا لضرورات القانون ليس الا ، وقد تم توزيع المبلغ « ربع مليون » وفقا لطلب « سيدني » على اجراء عملية « ليون » ونفقات زوجه وولديه .. وهكذا نكون امام السلطات الامريكية التي بدت في الفيلم « الجيد جدا » بمنتهى النزاهة والانسانية.

٥ - يشير الفيلم الى ان المجتمع الامبريالي يعاني من ازمات حضارية فقط ، وهذه الازمات تحل ديمقراطيا ، رغم اشكال « الارهاب السلمي » التي تستوعبها السلطات وتتجاوب معها .

ان الدعاية الضخمة للفيلم كانت وراء الاقبال المتزايد عليه ، ولكن خطورة هذا الاقبال تكمن في ان المشاهدين الذين استهواهم الفيلم ويترددون لمشاهدته غير مرة ، معظمهم من المراهقين والمراهقات والاطفال . ففي العرض الذي حضرته مؤخرا في صالة سينما « ساروﻻ » كان نسبة الحضور ما يفوق ٩٩ بالمئة من المراهقين والمراهقات والاطفال وقد همس اكثر من واحد من الاطفال انه يحضر الفيلم للمرة الثانية واخرون الثالثة ..

ان خطورة الفيلم على هؤلاء المشاهدين ، ناهيك عن المفاهيم السياسية الخاطئة التي يطرحها في كونه يطرح مسألة اخلاقية .

انه يعتبر الشذوذ الجنسي مسألة حضارية انسانية مشروعة ، والنضال في سبيلها ينتصر في نهاية الفيلم .

فالسيد « سيدني » يتزوج رجلا ويحبه ويغرم به ، مع احتفاظه بحبه لزوجته البدينة واحتفاظه بها حيث لا تزال تقيم مع والدته .

وزواج « سيدني » بحبيبه الذكر ، جرى بموافقة الكاهن وحضور الوالدة .

ان المراهقين والمراهقات والاطفال سيعتبرون ما طرحه الفيلم صحيحا كيف لا .. وهو يحدث في امريكا .. اقوى دولة في العالم ؟! .

انني اعتبر هذا الفيلم مجرد سلعة ثقافية امبريالية لبست مضادة للشعب الفيتنامي والشعب الامريكي فقط ، بل تزرع في نفوس واذهان اجيالنا الناشئة بذور الانحلال وتشجع نموها .

هـ . دانيال

قصة قصيرة

فتحي يكتشف سرّ التقلبات

بقلم : سعيد الشيخ

لم تكن مدرسة يؤمها ابناء الطبقات المخملية ، ولا حتى ابناء الطبقة الميسورة ، فانها مدرسة متواضعة ... معظم طلابها من ابناء صيادي الاسماك والفلاحين والمستخدمين ، ومن ابناء المخيمات ، يأتونها من قراهم ومخيماتهم القريبة من تلك المدينة الصغيرة ، التي لا زالت تبني نفسها لتلحق بأخواتها الكبريات ، كانت تلك المدرسة تقع في احدى الاحياء من الضواحي الشرقية للمدينة ، والتي تنعدم فيها الحركة والضوضاء ،وتتألف من طابقين طلي جدرانهما باللون الابيض من عهد بعيد ... وفي احدى ممراتها الداخلية من الطابق الثاني سار مستخدم المدرسة متوجها الى احدى الصفوف ...

- فتحي عبد الفتاح ، مطلوب للناظر ...

من احدى المقاعد الخلفية وقف شاب اسمر الوجه بقامته الطويلة وجسده النحيف وشعره الاشعث ، تظهر على وجهه ملامح الحزن الدائم ... وتقدم بهدوء وسار وراء مستخدم المدرسة ...

- الم يقل لك ماذا يريد ؟ ...

- لا ...

دخل فتحي غرفة الناظر الذي كان ينتظره ... والسيجارة في فمه ينفث دخانها بعصبية ظاهرة.

- انت ارسلت ورائي يا حضرة الناظر ؟

- اجلس ...

وجلس بهدوئه المعهود ، لكنه مضطربا هذه المرة ... وفي رأسه عشرات الافكار التي تستفسر عن حاجة الناظر اليه ، وقبل ان تقوده افكاره ابعد مما ابتعدت اليه ، جاءه صوت الناظر خفيفا ... لكنه لا يخلو من الحزم الصارم

- يا فتحي ... القضية باختصار، ان وجودك في المدرسة اصبح يشكل خطرا عليها .

وذهله ذلك الخبر الذي ما كان يتوقعه ... وظهرت على وجهه علامات الحزن القاتل ، وكاد ينهار من ثقل الخبر ، لكنه استجمع كل قواه ، ليواجه الناظر الذي ما زال ينفث دخان سيجارته ، ويمرر يده على ربطة عنقه .

- انا .. انا اشكل خطرا على المدرسة ، ولماذا .. ،ماذا فعلت ، انا لم اسيء الى المدرسة ابدا ... ودروسي .. دروسي لم اقصر بها .

الكلمة .. التي القيتها في الجمعية العمومية الاخيرة .. كان بالاجدر ان لا تقولها ...

- الكلمة !؟ وماذا كان بها ، كانت كلمة يقولها كل انسان يشعر بالمسؤولية ...

- لا ... ان تتعرض للسلطة ، فالامر يختلف ، ان تطعن اناسا يعملون من أجل امن واستقرار البلد ، يسمى اخلال بالامن ، وفوضى ايضا .

- لا ليست هذه فوضى ، كل ما عملته طرح ما هو متوجب على عاتق كل فرد من اجل ان نصون مكتسباتنا الوطنية والجماهيرية .

- انا لم احضرك هنا لتناقشني بأمور السياسة ، لقد اخذ القرار بطردك ، وعليك التنفيذ ...

وظهر فتحي على الكرسي متراخيا لا يقدر ان يقوم باي حركة ... ان اعصابه تراخت ، يحدق بالارض كأنه يبحث عن شيء اضاعه ، ان الصدمة كبيرة ، اكبر من فتحي ابن الثمانية عشر عاما ، ان يطرد من مدرسته فهذا شيء كبير ، جبل من الهموم ، لكن شجاعته جعلته يخوض نقاشا اخرا مع الناظر لعله يعدل عن القرار ، او ان يخفضه ...

- لكن يا حضرة الناظر معظم قوانين العقوبة تنص اولا على التنبيه او الانذار وتعطي المتهم فرصة اخيرة ...

- قرارنا يقول بفصلك ، وليس هناك اي مجال .

- لكن ...

- القرار اتخذ ، ولا نتردد في قراراتنا .

هذه الصدمة التي ما كان يتوقعها فتحي في يوم من الايام ... طرده من المدرسة كان يعني له الكثير ، انه انتهى ... ان مستقبله قد يضيع في معترك الحياة الذي لا يرحم ، ووالده ... آه ماذا سيقول لوالده الذي يحلم باليوم الذي يراه فيه رجلا حقيقيا مثقفا ، له قيمته في هذا المجتمع الذي رفض الامين والجاهلين ... كيف ايضا ستكون صدمته ... ان آماله كلها ستتحطم .

- يا الهي ... ما هذه الخيبة ؟ ساكون بالنسبة له خيبة امل ...

وبينما هو في هذه الافكار التي تقوده الى اليأس ، وبينما افكاره تتزاحم في مخيلته توصل الى فكرة، جعلته اكثر حزنا واضطرابا ، وقرر اخيرا ان يواجه الناظر بها ، وبكل احترام وهدوء قال له :

- لكن ما الذي جعلك تتغير ... لم اعهد بك هذا الانحراف ، لقد كنت دائما تحثنا على العمل من اجل مصالح الجماهير ، والى الارتقاء بحركة طلابية وطنية تعمل من اجل الفقراء والمضطهدين وانا لو لم اكن اعرف الى اي اتجاه تسير المدرسة لما كنت القيت كلمتي بالشكل الثوري ، ولا حتى كنت دخلتها من البدء .

- الامور كلها تغيرت ... وانت من لتحاسبني على تغيري ؟

- ما هي الامور التي تغيرت ... الفقراء ما زالوا هم الفقراء ، السلطات ما زالت هي السلطات ، والقمع ما زال هو القمع ، ما الذي تغير سوى ان السلطات ضاعفت ملاحقة الوطنيين وقمعها للجماهير .

- اصعد يا فتحي الى فوق خذ كتبك ... ومع السلامة .

خرج فتحي من الغرفة ورأسه يكاد ان ينفجر ، وهو يفكر بالمصير الاسود الذي ينتظره ... ويفكر بالصنف الذي ينتمي اليه هذا الناظر ...

● هؤلاء اشباه الرجال الذين يظهرون في كل مناسبة بلون ... يتلونون حسب الظروف ، كالحرباء .

هؤلاء الذين لا يملكون حق التفكير بانتمائهم ، تارة تجدهم في صفوف الجماهير يدعون الثورية وهم بعيدون كل البعد عن الثورة وتارة كلاب مخلصة وامينة على مصالح السلطات ... وها هم يقومون بدورهم الحقير .

وكان هذا الناظر المتخم احد تلك الفئات ، فقام بطرد فتحي الطالب الذي كان يمثل صوتا تقدميا وواعيا بين زملائه الطلبة ، دائما يكون على رأس الاضرابات والمظاهرات ، كان يدعو الى تشكيل رابطة طلابية في المدرسة ، لتتكلم باسم الطلاب ، ولتمثلهم في اجتماعات الحركة الطلابية في المدينة ... حتى اصبح فتحي بارزا بين زملائه ، وقد اخذ عليه البعض بأنه وطني ، والبعض الاخر يقول انه ثوريا ، والذي اكتشفه بعض زملائه انه ينتمي الى احدى التنظيمات السياسية المقاتلة !

دخل فتحي الصف بعد ان اخذ اذن الدخول ... وكان يظن المعلم ان فتحي عاد لمتابعة دراسته ، لكنه حمل كتبه وسار باتجاه الباب بخطوات متثاقلة ، يتأمل الصف ووجوه زملائه ... كان فتحي يعرف ان نظراته هذه هي نظرات الوداع، لكن المعلم وزملاءه استغربوا ذلك ، وواجهه المعلم :

- ما بك يا فتحي .. الى اين انت ذاهب ، هل حدث اي مكروه لا سمح الله ...

لكن فتحي لم يجب ، كان يحدق بأشياء الصف ، كأنه لاول مرة يراها ، يحدق اليها وغصة تملأ حلقه ، والحزن واضح على وجهه الاسمر الهادىء ... كان المعلم يعزه كثيرا ويكن له احترام المعلم لتلميذه ، بسبب اخلاقه النبيلة ، وتواضعه الجم ...

- فتحي ، ما بك ؟ ...

- لا شيء ، لا شيء ...

كان فتحي قد وصل الباب ، خرج واغلقه وراءه بكل هدوء ، وسار على السلم مسرعا ، كان يريد ان يغادر المدرسة باقصى سرعة ممكنة ، ان إعصابه لم تعد تحتمل، كان يشعر بحاجة للبكاء ، لكن رجولته كانت تأبى عليه ذلك ... وحين وصل غرفة الناظر خفف خطواته قليلا ليلقي على الناظر نظرته الاخيرة ، ويغادر المدرسة نهائيا ... لكنه وجد خطواته تقودانه الى داخل الغرفة ، ووجد نفسه مرة اخرى مع الناظر وجها لوجه ، وبعصبية اخذ يصرخ بوجهه ...

- « اسمع يا حضرة الناظر جيدا ما سأقول لك ... ان الزمن يتقدم ، وان الظروف تتبدل ، لا تظن ابدا بأن هذا الزمن الاسود سيظل ، زمن السلطات ، زمن الاضطهاد والقمع ، زمن الحقارة والخيانة ، لا ... ان الزمن يتقدم ... وتذكر جيدا التاريخ وانت لا تجهله ، فقد كنت معلما للتاريخ قبل ان تصبح ناظرا ... كم سلطة انهارت تحت اقدام الشعب ، وكم طاغ وجزار كانت مزابل التاريخ تنتظرهم ، وكم من الكلاب خانت اصحابها ... وماتت ندما وجوعا على ارصفة الشوارع » .

وخرج الى الشارع العام سريعا ... ودماغه كله يعمل ، يفكر باشياء كثيرة ولم يكن يصل الى اي قرار ... افكار كثيرة تتزاحم في رأسه ... لا يستطيع ان يركز على واحدة منها ، حتى وجد نفسه يدندن اغنية حزينة قديمة ، قد حفظها من امه المرحومة حين كان صغيرا ، كان دائما يرددها حين يقع بمصيبة ، او فراق وفقدان عزيز عليه ، راح يدندنها لنفسه ، والهواء الجاف الذي يحمل الغبار ، الاتي من الجهة المخالفة لسيره كان يعرقله عن المسير ويحثه الى الرجوع للوراء ! .

■■ عين الحلوة